لو على خمسة أوجه أحدها لو المستعملة في نحو
لو جاءني أكرمته **وهذه تفيد ثلاثة أمور أحدها** الشرطية
أعني أنها عقد السببية والمسببية بين الجملتين بعدها • **والثاني** تقييد
الشرطية بالزمن الماضي • وبهذا الوجه وما يذكر بعده فارقت إن فإن تلك
لعقد السببية والمسببية في المستقبل • ولهذا قالوا الشرط بإن سابق
على الشرط بلو • وذلك لأن الزمان المستقبل سابق على الزمن الماضي عكس
ما يتوهم المبتدئون • ألا ترى أنك تقول إن جئتني غدًا أكرمتك فإذا انقضى
الغد ولم تجئ قلت لو جئتني أمس أكرمتك **الثالث** الامتناع
وقد اختلف النحاة في إفادتها له وكيفية إفادتها إياه
على ثلاثة أقوال أحدها أنها لا تفيده بوجه وهو قول الشلوبين
وزعم أنها لا تدل على امتناع الشرط ولا على امتناع الجواب بل على التعليق في
الماضي كما دلت إن على التعليق في المستقبل • ولم تدل بالإجماع على امتناع ولا
على ثبوت • وتبعه على هذا القول ابن هشام الخضراوي • وهذا الذي قالاه
كإنكار الضروريات إذ فهم الامتناع منها كالبديهي • فإن كل من سمع لو فعل
فهم عدم وقوع الفعل من غير تردد • ولهذا يصح في كل موضع استعملت فيه أن
تعقبه بحرف الاستدراك داخلا على فعل الشرط منفيا لفظا أو معنى تقول
لو جاءني أكرمته لكنه لم يجئ • ومنه قوله • ولو أنما أسعى لأدنى معيشة
كفاني ولم أطلب قليل من المال • ولكنما أسعى لمجد مؤثل • وقد يدرك المجد المؤثل أمثالي
وقوله • فلو كان حمد يخلد الناس لم تمت • ولكن حمد الناس ليس بمخلد •
ومنه قوله تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني
لأملأن جهنم أي ولكن لم أشأ ذلك فحق القول مني • وقوله تعالى ولو أراكهم
كثيرا لفشلتم ولتنازعتم في الأمر ولكن الله سلم أي فلم يركموهم كذلك وقول
الحماسي • لو كنت من مازن لم تستبح إبلي • بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا

لكن

لكن قومي وإن كانوا ذوي عدد • ليسوا من الشر في شيء وإن هانا •
إذ المعنى لكنني لست من مازن بل من قوم ليسوا في شيء من الشر وإن
هان وإن كانوا ذوي عدد • فهذه المواضع ونحوها بمنزلة قوله تعالى
وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم
وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى **الثاني** أنها تفيد امتناع الشرط
وامتناع الجواب جميعا • وهذا هو الجاري على ألسنة المعربين ونص عليه
جماعة من النحويين • وهو باطل بمواضع كثيرة منها قوله تعالى ولو أننا نزلنا
إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا •
ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر
ما نفدت كلمات الله • وقول عمر رضي الله عنه نعم العبد صهيب لو لم
يخف الله لم يعصه • وبيانه أن كل شيء امتنع ثبت نقيضه فإذا امتنع
ما قام ثبت قام وبالعكس • وعلى هذا فيلزم على هذا القول في الآية الأولى
ثبوت إيمانهم مع عدم نزول الملائكة وتكليم الموتى وحشر كل شيء عليهم • وفي
الثانية نفاد الكلمات مع عدم كون كل ما في الأرض من شجرة أقلاما تكتب
الكلمات وكون البحر الأعظم بمنزلة الدواة وكون السبعة الأبحر مملوءة مدادا
وهي تمد ذلك البحر • ويلزم في الأثر ثبوت المعصية مع ثبوت الخوف
وكل ذلك عكس المراد **والثالث** أنها تفيد امتناع الشرط
خاصة ولا دلالة لها على امتناع الجواب ولا على ثبوته • ولكنه إن كان
مساويا للشرط في العموم كما في قولك لو كانت الشمس طالعة كان
النهار موجودا لزم انتفاؤه لأنه يلزم من انتفاء السبب المساوي
انتفاء مسببه • وإن كان أعم كما في قولك لو كانت الشمس طالعة كان
الضوء موجودا فلا يلزم انتفاؤه وإنما يلزم انتفاء القدر المساوي
منه للشرط • وهذا قول المحققين • ويتلخص على هذا أن يقال